الدراسات الجغرافية

المرأة المغربية المهاجرة إلى الخارج
بين الصورة النمطية والواقع

الأستاذ الدكتور
محمد حمجيق
المغرب / فاس / جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الإنسانية

المرأة المغربية المهاجرة إلى الخارج
بين الصورة النمطية والواقع

The immigration of Moroccan women between stereotype and reality

الأستاذ الدكتور
محمد حمجيق
المغرب / فاس/ جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
Prof. Dr. Mohamed Hamjik
Faculty of Arts and Human Sciences,
University of Sidi Mohamed Ben Abdallah, Fez, Morocco

ملخص:
وصلت أغلب النساء المغربيات إلى أوربا في إطار التجمع العائلي مع بداية السبعينيات من القرن الماضي. كان عددهن محدود، ولم يتمكنن من لوج سوق الشغل لأسباب اجتماعية، واقتصر دورهن على تربية الأبناء. لكن مع أواسط الثمانينيات من القرن الماضي، عرفت هجر النساء في إطار التجمع العائلي، وبشكل فردي في إطار عقود عمل تزايدا سريعا، وذلك لأسباب اقتصادية واجتماعية، إلى درجة أصبحت نسبة الإناث تعادل نسبة الذكور في كل الدول الأوربية. وتمكنت المرأة المهاجرة بعد عدة سنوات من الهجرة من ولوج عدة ميادين اقتصادية وسياسية وثقافية واجتماعية، بفضل تحسن مستواها الدراسي واندماجها في الدول التي يقمن فيها، مما مكنها من احتلال مراكز مهمة ومشرفة.

كلمات مفاتيح: مقدمة: المرأة المهاجرة – التجمع العائلي – المغرب – الاندماج – أوربا – عقود عمل – الهجرة الدولية.

abstract:
Most Moroccan women arrived in Europe as part of a family reunion at the beginning of the seventies of the last century. Their number was limited, and they were unable to enter the job market for social reasons, and their role was limited to raising children. However, with the mid-eighties of the last century, the abandonment of women within the framework of family gathering, and individually within the framework of work contracts, increased

the countries in which they reside, which enabled them to occupy important and honorable positions.

Key words:.
migrant women - family reunion – Morocco - integration - Europe - employment contract - International migration

rapidly, for economic and social factors, to the point when the percentage of females was equivalent to that of males in all European countries. After several years of emigration, immigrant women were able to enter several economic, political, cultural and social fields, thanks to the improvement of their academic level and their integration in

مقدمة:

كانت المرأة المغربية المهاجرة تعيش على الهامش بالمغرب. يقرر الرجل مصيرها ويوجه مصالحها على المستوى التشريعي والقضائي والاقتصادي والسياسي. إلا أنه ليس كل نساء المغرب يعشن نفس الأوضاع، ونفس الظروف الاجتماعية، وإنما يختلف وضعهن حسب المستوى الدراسي والانتماء الاجتماعي والجغرافي، وحسب الوسطين القروي والحضري. وكان للتغيرات التي طرأت على المجتمع المغربي خلال السنوات الأخيرة تأثيرا مباشرا على أوضاع المرأة، حتى وإن لم تسهم بشكل فعال في تغييرها إلى الأحسن. وقد عرف طرح قضية المرأة منحى جديدا ابتداء مما أصطلح عليه خطة إدماج المرأة في التنمية، إلى تعديل مدونة الأحوال الشخصية، ثم إقرار المساواة بين الجنسين، رغم أننا في حاجة إلى تغيير العقليات أكثر منه إلى نصوص قانونية وتشريعات.

وتعرف صورة المرأة تمييزا في التعامل معها ابتداء من الأسرة مرورا بالمدرسة وانتهاء بالإعلام. إلا أن الظروف السوسيواقتصادية التي يجتازها المغرب، وتعميم التمدرس والتمدين والانفتاح على مجتمعات أخرى عبر وسائل الإعلام والهجرة، أفرزت استراتيجيات نسائية متعددة. في ظل هذه التحولات التي يعيشها المجتمع المغربي والتي تخدم قضية المرأة المغربية من أجل تغييرها نحو الأفضل، نتساءل جميعا عن المراحل التاريخية للهجرة النسائية من المغرب، وعن وضعية المرأة المغربية في بلاد المهجر من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية:

ما هي العوامل السوسيوثقافية التي انبثقت منها هجرة المرأة المغربية باستقلالية عن الرجل؟ وأسئلة فرعية أخرى مثل: لماذا غابت الهجرة النسوية التلقائية والمستقلة في الأجيال الأولى من هجرة المرأة المغربية نحو الخارج؟

إن الهدف من هذه الدراسات هو الكشف عن الأوجه المتعددة لظاهرة الهجرة، وتوضيح مدى إسهام النساء المهاجرات في التنمية، وفتح مجال لنقاش جوهري حول ظروف النساء المهاجرات، ومكانتهن في المجتمع، ودورهن في التحولات الاجتماعية التي تشهدها بلدانهم الأصلية.

ولمعالجة موضوع الهجرة الدولية من وجهة نظر النساء هي مغامرة، نظرا لنقص المعطيات الراهنة، وحدود الإطار النظري، وصعوبة إنجاز دراسات ميدانية، لذا ارتأينا الاعتماد على الدراسات المتاحة، والمصادر الإحصائية والتقارير الرسمية والتشريعات، وتقصي القصص الفردية والجماعية. وتسعى المنهجية المتبعة إلى محاولة تأصيل الممارسات الهجرية المدروسة في سياقاتها التاريخية والجغرافية المحددة والمضبوطة بين نقاط الدفع والجذب.

I. التطور التاريخي لهجرة المرأة المغربية نحو الخارج وخصائصها العامة:

لقد حظيت هجرة النساء من المغرب إلى دول الاتحاد الأوربي باهتمام خاص في السنوات الأخيرة. ويمكن تلخيص التطور الملحوظ خلال العقود الأخيرة في ثلاث موجات متلاحقة.

١. مرحلة ما قبل سنة ١٩٧٥: حضور محدود للنساء في تيارات الهجرة الدولية

تميزت هذه المرحلة بهجرة كثيفة نحو الدول الأوربية، التي أبرم معها المغرب اتفاقيات حول الشغل والضمان الاجتماعي كفرنسا وهولندا وألمانيا وبلجيكا[١]، لأن هذه الدول كانت في حاجة ماسة إلى اليد العاملة النشيطة غير المؤهلة وخاصة الذكور، لإعادة بناء اقتصادها الذي دمر خلال الحرب العالمية الثانية، وذلك للعمل في الأشغال الشاقة كبناء الجسور والطرق والسكك الحديدية والعمل في المناجم ومعامل الحديد. وتمت الهجرة من المناطق الفقيرة اقتصاديا وذات الكثافة السكانية المرتفعة، كمنطقتي الشمال والجنوب المغربيتين[٢]. ونسجل خلال هذه المرحلة الحضور المحدود جدا والباهت للمرأة المغربية في تيارات الهجرة الدولية، وخاصة من مناطق الريف[٣].

2. المرحلة الممتدة ما بين ١٩٧٥ إلى ١٩٨٥: بداية هجرة النساء في إطار التجمع العائلي

وصلت النساء المهاجرات إلى الخارج في إطار التجمع العائلي بعد أواسط السبعينيات من القرن الماضي. وقد ساهمت مجموعة من العوامل في تشجيع التجمع العائلي منها، رغبة المهاجر في استقدام أسرته لضمان مستقبل أبنائه، وتوفير الظروف الملائمة للعيش، واقتناعه بالإقامة الدائمة أو على الأقل طويلة الأمد. كما شجعت الدول المستقبلة المهاجرين على استقدام أسرهم لتوفير الظروف الملائمة للراحة والاستقرار النفسي، وللرفع من الإنتاجية، ولاندماجهم في السوق الاستهلاكية للحد من تحويل العملة الصعبة، وكذا تكوين احتياط من اليد العاملة تستغلها عند الحاجة في مختلف القطاعات الإنتاجية وغير الإنتاجية[٤].إن معظم النساء المهاجرات من البوادي خلال هذه المرحلة. لا يتوفر أغلبهن على تكوين مهني، ولم يسبق لهن الولوج إلى المدرسة، ولهن أطفال صغار، وحافظن على نفس نمط العيش والعادات والتقاليد المغربية، أما النساء المهاجرات من المدن

الكبرى كالدار البيضاء والرباط وفاس، فتمكنن (بعد مدة من الهجرة) من الاندماج بسهولة في مجتمعات الإقامة، واقتحام سوق الشغل، لأن أغلبهن متمدرسات استطعن تعلم اللغة والتواصل بسهولة.

الشكل رقم ١: توزيع الهجرة إلى أوربا حسب الجنس والفترات الزمنية

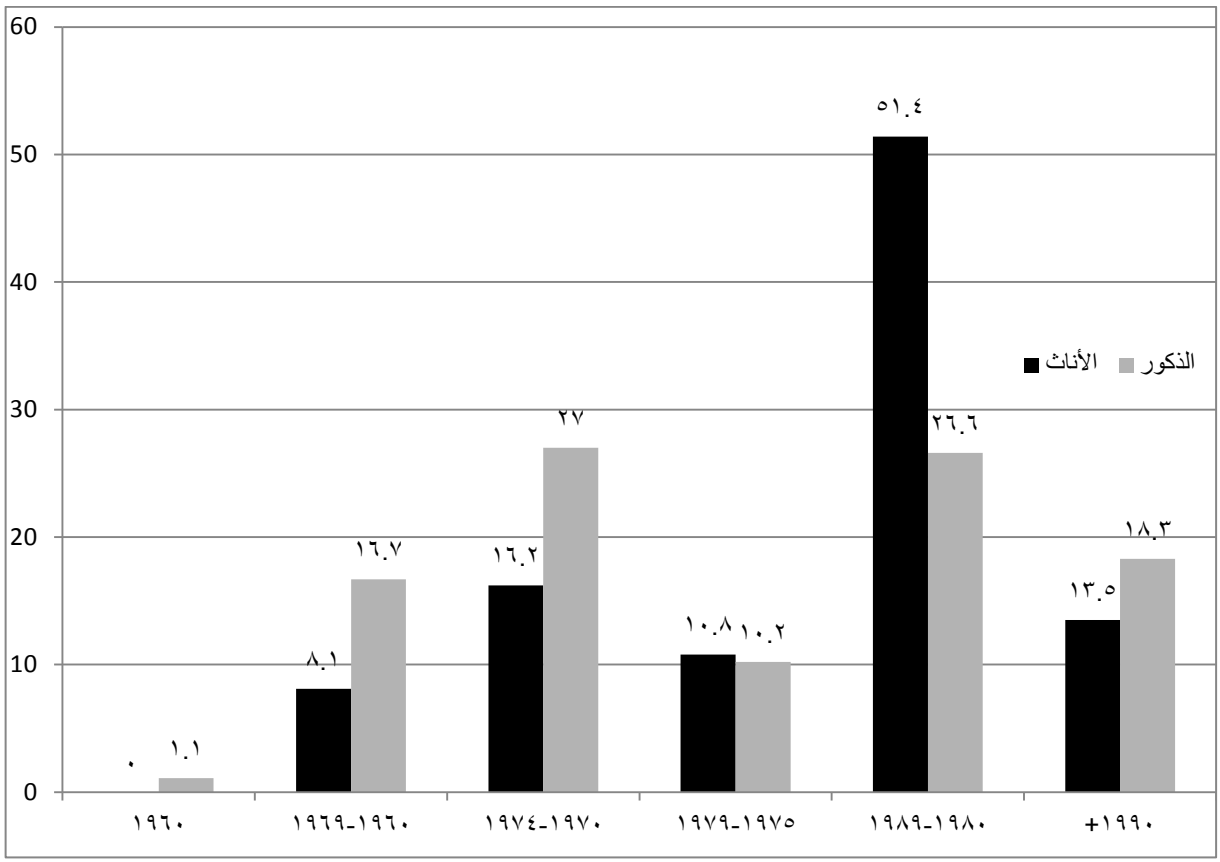

Source : BERRADA Abdallah, 2000: Changements du phénomène migratoire et de ses caractéristiques Sociodémographiques, Séminaire sur les mutations de l'émigration Internationale Marocaine, INSEA 28-29 Janvier 2000, Rabat,.

إذا كانت الفترة ما قبل سنة ١٩٧٥ فترة هيمنة الرجل على مجتمع المهاجرين، فإن حضور النساء المهاجرات توسع بشكل تدريجي، لينتقل إلى تأنيث متدرج في كل دول الاستقبال، لأن النساء لم يعد يهاجرن في إطار التجمع العائلي فحسب، وإنما نسبة مهمة منهن وصلت إلى الدول الحديثة الهجرة (إسبانيا وإيطاليا) بشكل منفرد.

الشكل رقم ٢: توزيع المهاجرات المغربيات حسب دول الهجرة سنة ٢٠٠٨

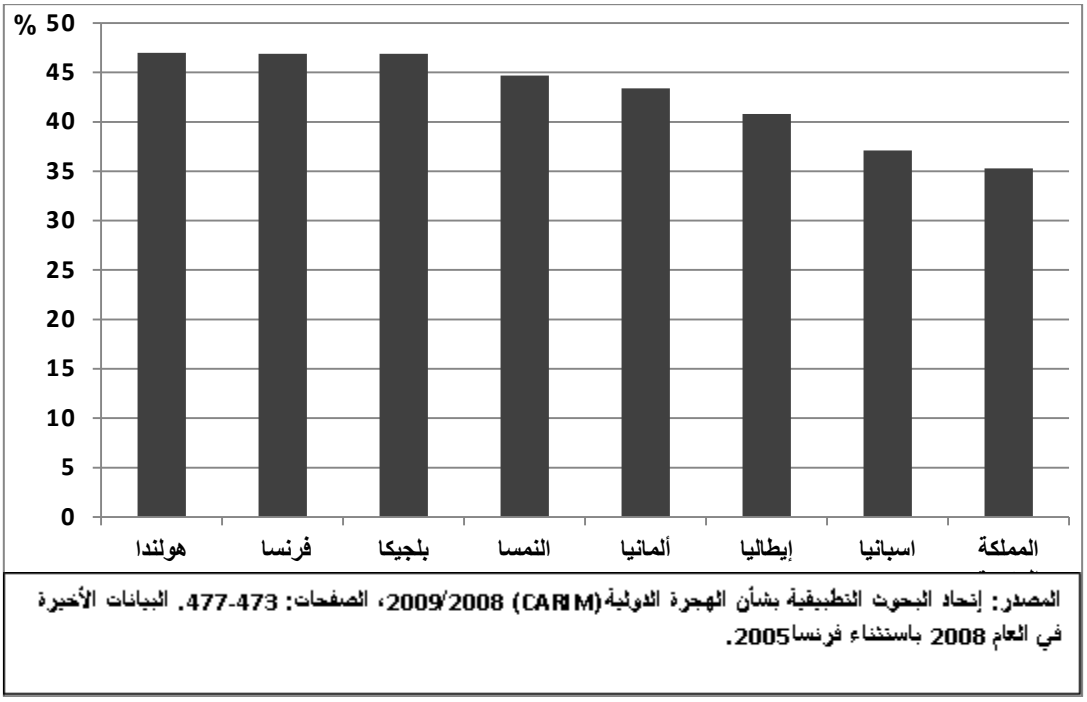

المصدر: إتحاد البحوث التطبيقية بشأن الهجرة الدولية (CARIM) 2008/2009، الصفحات: 473-477. البيانات الأخيرة في العام 2008 باستثناء فرنسا 2005.

يتبين من خلال المبيان أن نسبة النساء مهمة، تمثل ٤٢.٤% من مجموع المهاجرين حسب معطيات ٢٠٠٨، وبلغت ٤٧% سنة ٢٠١٤[٥]. ويجب أن نميز خلال هذه المرحلة بين الهجرة في إطار التجمع العائلي إلى الدول التقليدية كفرنسا وألمانيا وبلجيكا وهولندا، والهجرة الفردية التي تطورت على مدى العقدين الماضيين إلى إيطاليا وإسبانيا، وذلك لأسباب اقتصادية محضة.

٣. المرحلة الممتدة من ١٩٨٥ إلى اليوم: ارتفاع وتيرة هجرة النساء بشكل فردي.

أصبحت الهجرة القانونية إلى أوربا صعبة ومستحيلة أكثر فأكثر، نظرا لاتفاقية شنغن الموقعة في ١٤ يونيو ١٩٨٥، ومعاهدة ماستريخت سنة١٩٩٢، مما أدى إلى ارتفاع نسبة المهاجرات في إطار التجمع العائلي، وارتفع عدد المهاجرات بشكل فردي سواء في إطار عقود عمل أو في إطار الهجرة السرية، خاصة إلى إسبانيا وإيطاليا.

إذا كانت الهجرة في إطار التجمع العائلي أملتها ظروف اجتماعية، كتوفير ظروف مناسبة للاستقرار النفسي والاجتماعي للمهاجر، وضمان مستقبل الأبناء كالتمدرس والعمل، والزواج المبكر للفتيات، فإن هجرة المرأة بشكل فردي/مستقل، كانت لأسباب اقتصادية بالدرجة الأولى، نظرا للأزمة التي مر منها الاقتصاد المغربي بسبب توالي سنوات الجفاف، وارتفاع

نسبة البطالة في صفوف الشباب، وخاصة خريجي الجامعات والمعاهد العليا بالمغرب. وتراجع نسبة الزواج في صفوف الإناث. كما أصبح للمرأة نفس الدور الاقتصادي الذي يقوم به الرجل في المجتمع المغربي، من هنا ظهرت هجرة المرأة ضرورة اقتصادية بالدرجة الأولى، خاصة الهجرة الحديثة إلى إسبانيا وإيطاليا.

وقد عرفت الهجرة المغربية نحو إسبانيا وإيطاليا تغيرا نوعيا، إذ أصبحت تعرف تزايدا مطردا للنساء، فمثلا تمثل النساء المهاجرات بإيطاليا أكثر من ٣٧%من مجموع المهاجرين، وتفوق نسبتهن بإسبانيا ٤٠% سنة ٢٠١٧[٦].

الشكل رقم ٣: تطور عدد المهاجرات المغربيات بإسبانيا مابين سنتي ٢٠٠٠ و٢٠١٧

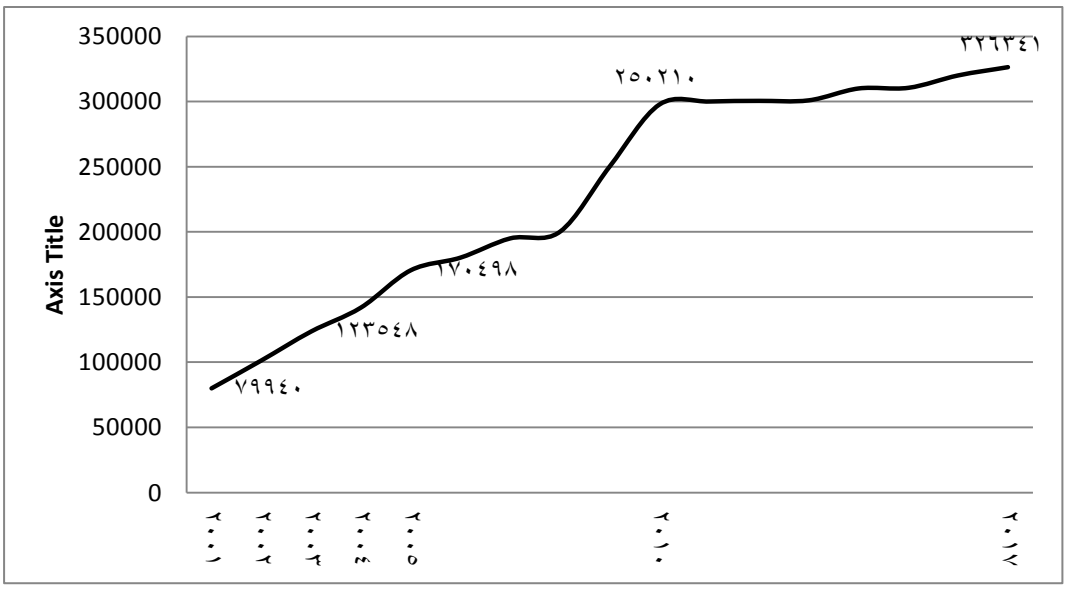

Source : Institut National Espagnol de la Statistique (INE : 2001 à 2017)

يمكن تفسير هذا التزايد في عدد النساء المهاجرات إلى إسبانيا إلى جانب الهجرة غير الشرعية، والسياحة والدراسة، بالإتفاق الذي ابرمه المغرب (من خلال الوكالة الوطنية لإنعاش التشغيل والكفاءات) وإسبانيا خصوصا مقاطة ويلفا بالأندلس. وتهدف هذه الاتفاقية لتشغيلهن لمدة ثلاثة أشهر في عمل جني الفراولة. ويتم اختيار النساء في المغرب وفقا للمعايير التي وضعها الطرفين. منها الإنتماء الجغرافي. وعرفت هذه الحركة وتيرة متسارعة من نقط انطلاق مختلفة من المغرب[٧].

الشكل ٤: توزيع المهاجرات المغربيات إلى إسبانيا وإيطاليا حسب الانتماء الجغرافي

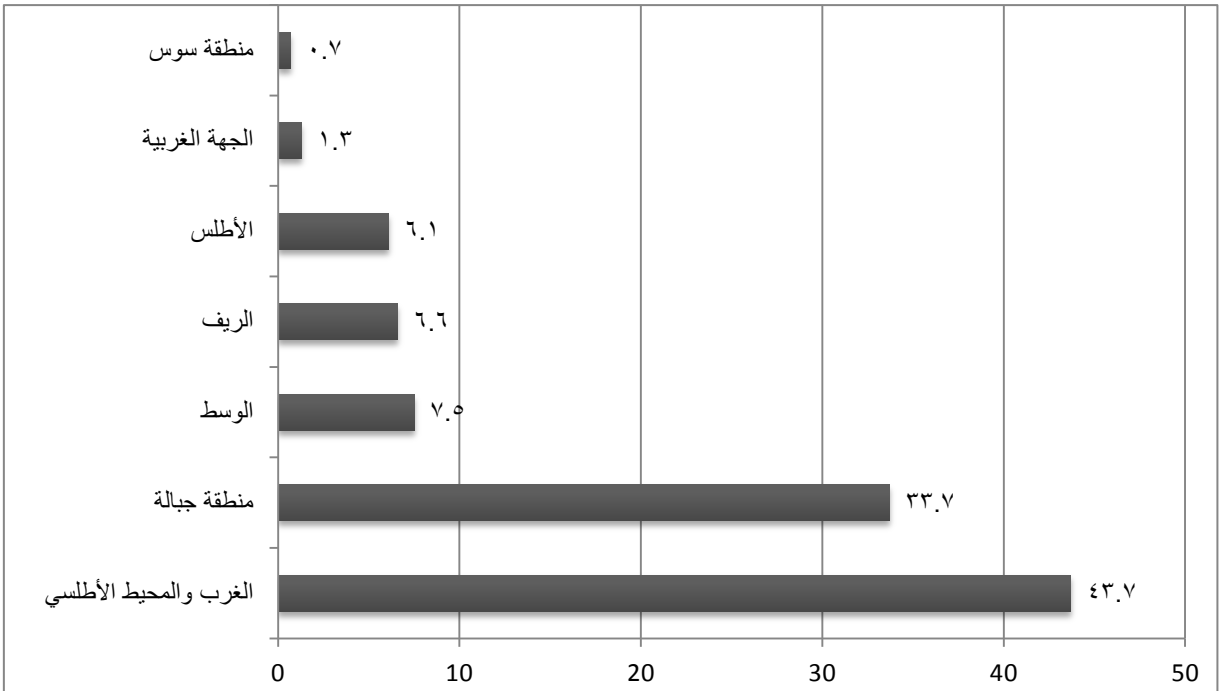

كنزة الغالي ٢٠٠٤: نساؤنا المهاجرات في إسبانيا، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ص: ٧٣.

يتبين من خلال الشكل أن أغلب المهاجرات إلى إسبانيا من منطقة الغرب والمحيط الأطلسي، بنسبة ٤٣.٧% من مجموع المهاجرات، لأن أغلب نساء المنطقة يشتغلن في النشاط الفلاحي مع الإسبان الذين يستثمرون في زراعة الفرولة بسهل الغرب. ويعرف هؤلاء جيدا جديتهن، واتقانهن لطريقة جني الفراولة، التي تتطلب أيادي ماهرة.

بشكل عام، إن النساء المهاجرات للعمل في حقول الفراولة بإسبانيا، يتميزن بصغر سنهن، ومستوى تعليمهن جد متدني أو أميات. ولكن لديهن خبرة في العمل اكتسبناها في بلادهن، ومشبعات بثقافة العمل والاعتماد على الذات. ونجد من بينهن أساسا العازبات، والأرامل والمطلقات، هؤلاء لا يهاجرن إلا من اجل العمل.

ساهمت هذه العوامل وغيرها في خلق ثقافة الهجرة التي أصبحت متجذرة في صفوف الأطفال أيضا، فحسب دراسة ميدانية حول المتمنيات المستقبلية للطفلة المغربية ١٧.٧% أجبن بأنهن يرغبن في الهجرة مقابل ٢٨.٧% بالنسبة للرجال[٨]، نظرا للحرية والمساوات التي

تتمتع بها المرأة، وفرص عمل كثيرة ومتنوعة تمكنها من تحقيق ذاتها وضمان مستقبلها، والإقبال الذي تعرفه الفتاة المهاجرة من قبل الشباب الحالمين بالهجرة.

٤. الخصائص العامة للنساء المهاجرات إلى الخارج

تتميز المرأة المغربية المهاجرة إلى الخارج باختلاف مسارات الهجرة، وأشكال الاندماج، ومن حيث الخصائص السوسيواقتصادية والثقافية. إن معظم المهاجرات وصلن إلى أوربا حديثا مقارنة بهجرة الذكور. لكن الظاهرة تعرف تطورا سريعا إلى درجة أن نسبة النساء اليوم تفوق ٤٧%من مجموع المهاجرين في كل الدول الأوربية[٩]، أغلبهن من الجيلين الثاني والثالث، تمكنن من الحصول على جنسية البلدان التي يقمن فيها، حيث يأتي المغاربة في المراتب الأولى في كل دول الاتحاد الأوربي من حيث عدد الحاصلين على جنسية البلد الذي يقيمون فيه. وتقدر نسبة المغاربة الحاصلين على الجنسية الأجنبية حوالي ٢٧.٤%، النساء أكثر من الرجال بنسبة ٣٣.٣% مقابل ٢٤.٦% للرجال[١٠]. أما بالنسبة للدول الحديثة الهجرة فنسبة النساء المغربيات الحاصلات على الجنسية الإسبانية حوالي ٤٢% مقابل ٥٨% بالنسبة للذكور[١١].

أ. على المستوى الدراسي: يمكن التمييز بين فئتين من المهاجرات إلى الخارج، المهاجرات من الرعيل الأول اللواتي–كما سبق الذكر–هاجرن في إطار التجمع العائلي، ومعظمهن ينتمين للوسط القروي، وغير متمدرسات. ففي هولندا مثلا حوالي ثلثي من مجموع المهاجرات المغربيات ينتمين لهذه الفئة. وتابعت حوالي ٢٠% الدراسة الإجبارية، لكنهن ينقطعن لأسباب اجتماعية(الزواج)، ومنهن من تابعت التكوين المهني. أما نسبة الفتيات اللواتي تابعن دراستهن العليا فمحدودة جدا حوالي ٢٤٥٠٠٠ مهاجرة سنة ٢٠١١[١٢]، ونسبتهن في تزايد مستمر، أغلبهن من الجيلين الثاني والثالث.

بينما المهاجرات بشكل فردي اللواتي هاجرن حديثا إلى كل من إسبانيا وإيطاليا، فمستواهن الدراسي مرتفع مقارنة مع المهاجرات في إطار التجمع العائلي، لأن نسبة مهمة تابعت دراستها الجامعية بالمغرب.

ب. على المستوى الاجتماعي: إذا كانت النساء المهاجرات من الجيل الأول زيجات أو بنات مهاجرين، اعتمدت على رب الأسرة لإعالتهن، فإن موجات الهجرة التي تلت هذا الجيل أغلبهن شابات عازبات. دفعتهن الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة والمزرية إلى خوض غمار الهجرة، حيث ينتمي أغلبهن لأسر فقيرة، فهاجرن للبحث عن العمل من اجل تحسين وضع أسرهن الاقتصادي والاجتماعي. وتشتغل هذه الفئة من

المهاجرات في قطاعات الشغل المضنية، والمعروفة بهشاشة الحماية وعدم تطبيق القوانين، أو ضمان حقوق العامل المهاجر، خصوصا النساء اللواتي يقبلن بأي عمل وفي أي وضع كان وأي أجر.

الشكل رقم ٥: الوضعية العائلية للمهاجرات المغربيات بإسبانيا (%)

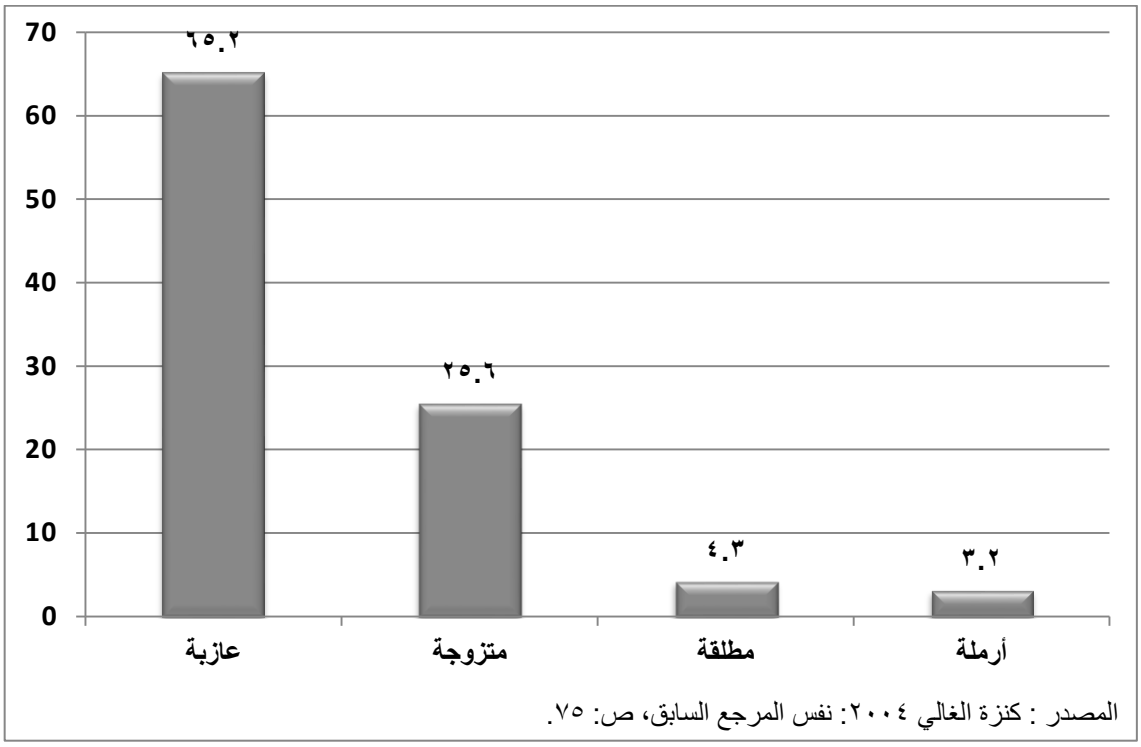

المصدر : كنزة الغالي ٢٠٠٤: نفس المرجع السابق، ص: ٧٥.

وهذه النتيجة تؤكدها عدة دراسات، وتبين أن الجالية المغربية في اسبانيا تتكون في غالبيتها من العازبات بنسبة تفوق ٦٠%، مقابل حوالي ٢٦% من المتزوجات مع حصة من المطلقات والأرامل[١٣]. تبين هذه البيانات الصورة النمطية للنساء المغربيات المهاجرات في اسبانيا هي صورة امرأة لم تؤسس بعد أسرتها، وهذا يعني أن المرأة المغربية كسرت تلك الصورة النمطية المتمثلة في ارتباطها بأسرتها، وامتد هذا التغيير ليشمل النساء المتزوجات، حيث قطعت المرأة رباط الزوجية واختارت الهجرة للعمل وإعادة بناء حياتها[١٤]. ولعل هذا يفسر كون نساء المغرب يهاجرن بمفردهن-عكس النساء الأسيويات-لا يتركن خلفهن حالات زوجية، فهن في الغالب غير متزوجات، أو أرامل أو مطلقات أو منفصلات. فقد أصبح في الوقت الراهن ينظر

للهجرة كوسيلة للبدء على أسس جديدة لبناء مشروع حياة جديدة في البلد المستقبل.

II. الوضعية الهشة للمرأة المهاجرة في سوق الشغل

تختلف نسبة المهاجرات النشيطات المشتغلات من بلد لآخر، وهذه النسبة مرتفعة في البلدان الحديثة الهجرة كإسبانيا وإيطاليا، حيث تمثل أكثر من ٧٠% بالنسبة للنساء اللواتي يقل سنهن عن ٤٠ سنة(الشكل رقم٦)، أغلبهن غير متزوجات، وصلن إلى أوربا بشكل فردي ومستقل بحثا عن العمل. كما أن نسبتهن مرتفعة في صفوف المهاجرات من الجيلين الثاني والثالث في فرنسا وبلجيكا وهولندا وألمانيا.

الشكل رقم ٦: توزيع المهاجرات المغاربيات بالخارج حسب السن(%).

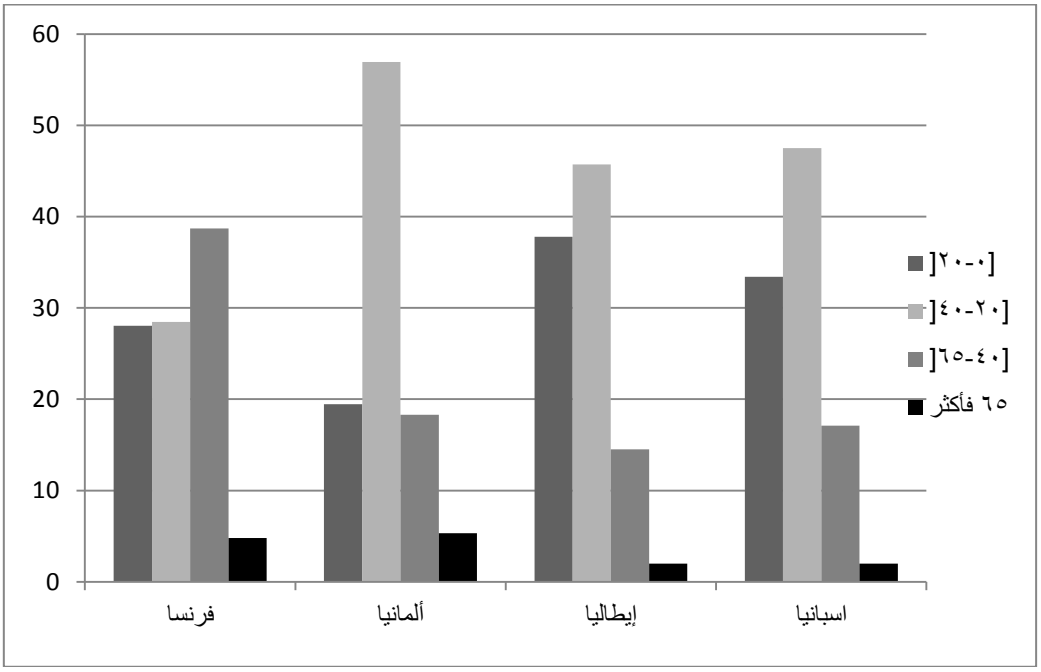

المصدر: الهجرات المتوسطية، تقرير ٢٠٠٦– ٢٠٠٧، ص: ٣٨٧.

تبين من خلال الإحصاءات الرسمية للدول المستقبلة للهجرة، أن نسبة النساء المهاجرات النشيطات المشتغلات مرتفعة في صفوف المهاجرات الحاصلات على الجنسية بحوالي ٥٢.٦% مقابل ٢٩.٢٧% لدى المهاجرات غير الحاصلات على الجنسية، مما يفسر الطلب المرتفع للجنسية في صفوف المغاربة. فمثلا لا تتجاوز نسبة المهاجرات المشتغلات ٢٣% بدولة هولندا، لأن أغلبهن هاجرن من مناطق محافظة كمنطقتي الريف وجبالة، يعشن منغلقات على

أنفسهن في البيت، ويهتمن بتربية الأطفال والأشغال المنزلية. في حين أن النساء المهاجرات من الجيلين الثاني والثالث، فقد تمكنن من الاندماج في سوق الشغل بسهولة، لأن مستواهن الدراسي عالي، يمكنهن من الحصول على العمل بسهولة، ويطمحن في المزيد من الحداثة والتحرر من قبضة الأسرة والجماعة فيما بعد، وذلك لأنهن ينتمين إلى ثقافتين مختلفتين. بل متناقضتين، ثقافة الآباء المتأثرين بطريقة التفكير والناقلة لسلوكيات مستلهمة من الدين والتقاليد، وثقافة البلاد المستقبلة الحديثة والعادلة.

الشكل رقم ٧:أسباب الهجرة الجنس والاندماج في سوق الشغل بدول الاتحاد الأوربي سنة٢٠١٤

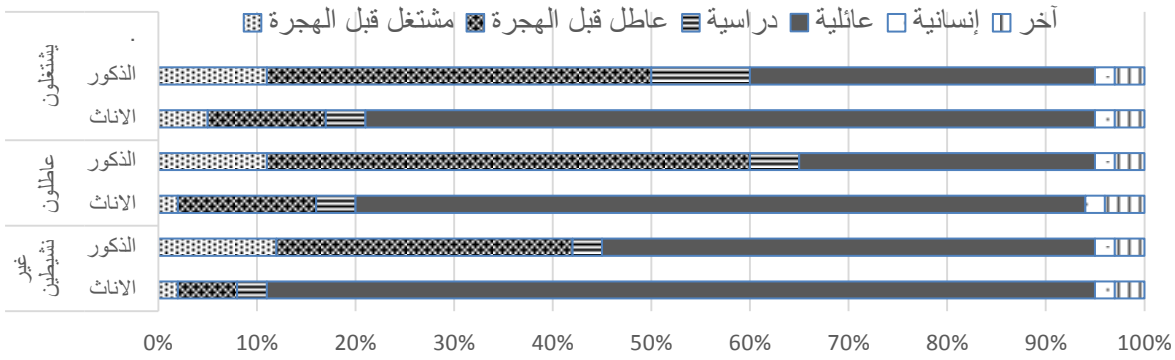

Source: **OCDE** ,٢٠١٦ : Talents à l'étranger : une revue des émigrés marocains. Editions, OCDE, Paris,

أما المهاجرات حديثا إلى إسبانيا وإيطاليا، فنسبة المشتغلات في صفوفهن مرتفعة، لأن نسبة مهمة هاجرن أساسا من أجل البحث عن العمل.

١. تركز النساء المهاجرات في القطاع الثالث الأسفل:

تعتبر اليد العاملة النسوية المهاجرة مربحة بالنسبة للمشغلين، لأنها طيعة، وتتقاضى أجورا زهيدة، وتعمل ساعات طويلة. وتشتغل المهاجرات المغربيات في قطاعات إنتاجية محددة خاصة في القطاع غير المهيكل، حيث إمكانية الولوج إلى شبكة المعلومات والمواكبة الاجتماعية محدودة، مما يفرض عليهن كل أشكال الاستغلال والتهميش.

إن الأنشطة الاقتصادية التي تمتص اليد العاملة المهاجرة سواء بشكل فردي أو في إطار التجمع العائلي هو القطاع الثالث(الأسفل)، حيث تشتغل أغلب المهاجرات في قطاع الخدمات كالتجارة، والمطاعم، والفنادق، والنظافة، وخادمات بيوت (تربية الأطفال ورعاية الأشخاص المسنين..).

الشكل رقم٨: توزيع المهاجرات المغربيات والإسبانيات حسب قطاعات الشغل

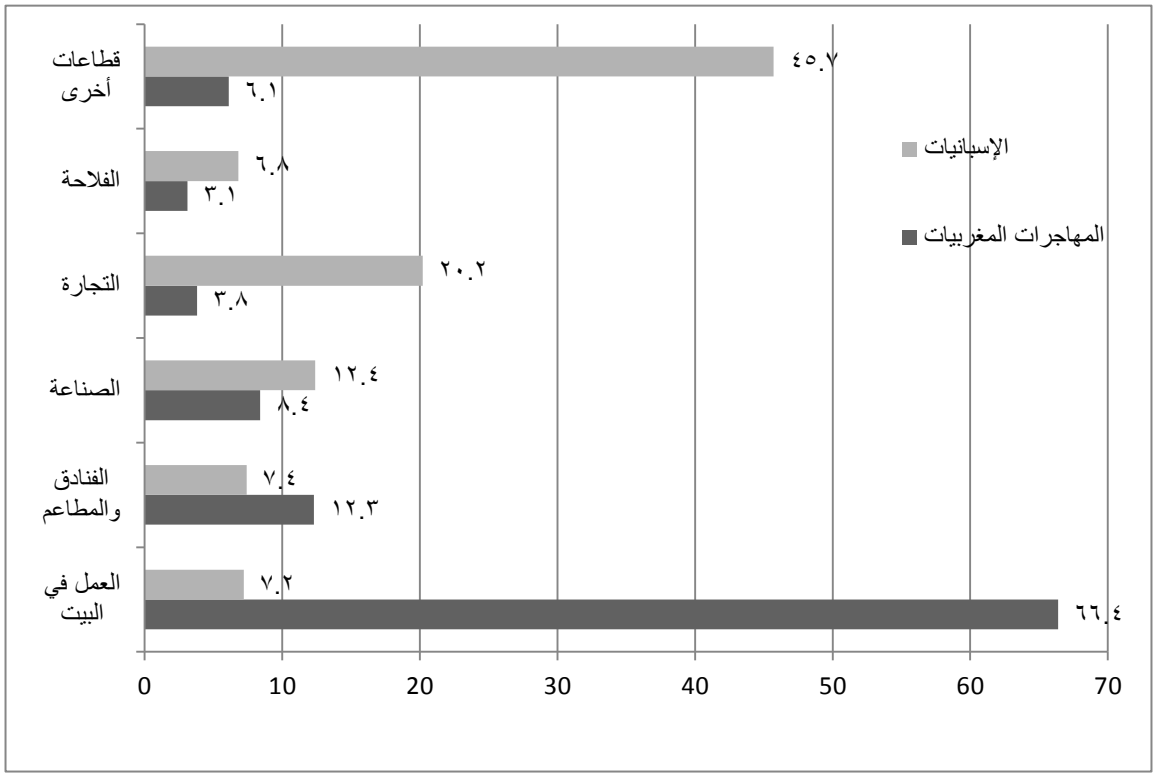

المصدر: كنزة الغالي، ٢٠٠٤: نفس المرجع السابق، من ص ٤٢، ص٧٩.

لكن الحكومات الأوربية لا تعير اهتماما لكل هذا، ولا تفتأ تشد الوثاق على المهاجرات بقانون الهجرة. ورغم كل هذه الصعوبات تواصل المهاجرات التحدي ويأملن في القريب/ البعيد، ويمنين أنفسهن بمعرفة المجهول والتأقلم مع ظروفه، والتغلب على مصاعبه بالحب والعطاء. أما بالنسبة للدول الحديثة الهجرة فأغلب المهاجرات يشتغلن مساعدات في البيوت بنسبة ٧٠% بإسبانيا[١٥].

١.١. الأشكال المتعددة للأعمال المنزلية:

تستقطب الخدمات المنزلية أكبر نسبة من النساء المهاجرات، وقد كانت نساء الجيل الأول يقمن بهذا النوع من العمل، لعدم استعدادهن الخوض في أنشطة أخرى، وكان عملهن هذا بمثابة مساعدة يقدمنها لنساء الدول المستقبلة في بعض المهام المنزلية كالتنظيف مثلا. وكان هذا العمل يتم خلال بعض أيام الأسبوع، حتى يتسنى لهن إيجاد الوقت لرعاية أسرهن. أما حاليا فأغلب النساء اللواتي يزاولن هذه المهنة متعلمات، فقد

تلقين تأهيلا في دولهن الأصلية. ويبقى إقبال النساء المهاجرات على هذا القطاع مرتفعا، لأنه الوحيد المتاح، والأكثر جذبا من الناحية المالية بالنسبة للمهاجرات الجديدات. كما ليس لأغلبهن التزامات أسرية تحد من مردوديتهن والإقامة مع المشغل، مما يمكنهن على الأقل من توفير مصاريف السكن والأكل. لكن هذا العمل يعرضهن للاستنزاف أكثر، مع انخفاض في الأجرة مقارنة بالقطاع المنظم. وقد شجعت الدولة الاسبانية قطاع الخدمات المنزلية، وديناميةالهجرة النسائية من خلال سياسة تسوية وضعيتهن غير القانونية.

تتركز أغلب النساء المهاجرات حديثا إلى إسبانيا في مدينة مالقة، لأنها تتميز بوجود نخبة اقتصادية غنية من دول الخليج. كما تتركز بمدينة مدريد التي عرفت بدورها في الماضي انتشار هذا النوع من العمل بين النساء الاسبانيات النازحات من القرى، لأن المرأة في المدينة أقبلت على العمل خارج البيت فاضطرت للبحث عمن يعوضها ويقوم بأعبائه.

لقد أثارت هذه الظاهرة الجديدة اهتمام الباحثين، الذين قاموا بعدة دراسات حول الموضوع من اجل فهم وتحليل هذا التشابك من العوامل الديموغرافية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وراء هذه الظاهرة المجتمعية التي أصبح الطلب على المساعدات في المنازل متزايدا في المجتمعات الصناعية. وقد توصلت عالمات الاجتماع اللواتي ينحدرن من دول أوربا الجنوبية إلى المقولة المتناقضة" تحرير إحدى النساء من أجل استعباد أخرى".

١.٢ النساء في النشاط الزراعي الموسمي: ظروف صعبة ومعاملة لا إنسانية:

يركّز كبار الفلاحين في إقليم ويلفا (ويلبا) الاسباني على المغربيات من اجل العمل، إذ تستقطب سنويا مابين ١٥ ألف و٢٠ألف مغربية للعمل في النشاط الزراعي، بأجر صافٍ محدد مابين٣٣ و ٣٧ يورو يومياً لسبع ساعات ونصف من العمل، وبشروط صارمة. ويتم اختيار النساء وفقا للمعايير التي سطرها كلا الطرفين. فيتم انتقاؤهن حسب المناطق، والحالة الإجتماعية، حيث يشترط أن تكون المرشحة للهجرة متزوجة أو مطلقة، ولها أطفال يقل سنهم عن ١٤ سنة، وأن لايتجاوز سنها ٤٠سنة، وتتمتع بصحة جيدة. ويلتزم الجانب الإسباني بتوفير الإقامة المناسبة طوال فترة العمل الموسمي، وحمايتهن من التحرش الجنسي.

إن العاملات اللواتي يتم ترشيحهن للهجرةَ في الغالب لهن أبناء يقل سنهم عن ١٤سنة، حتى لا يقرّرن الاستقرار سراً في إسبانيا. كما يرى المستثمرون الإسبان في المغربيات والمغاربة عموما، يداً عاملةً نشيطة تقبل ظروف عمل لا يقبلها الإسبان، كما تقبل

تعويضاً عن ساعة العمل يعدّ من بين الأضعف في البلد.

إن الفقر هو الذي دفع هذه الشريحة من المهاجرات إلى العيش بعيدا عن أسرهن وأطفالهن الصغار، من أجل تحسين أوضاعهن الاقتصادية والاجتماعية. لذا يجب عليهن أن يتعاملن بمرونة مع ظروف العمل الصعبة، خوفا من فقدان عملهن، وأن لا يتم انتقائهن خلال السنة المقبلة.

لكن عدة تقارير تفيد أن النساء المهاجرات في إطار هذا النوع من العقود يسكنن في مساكن غير ملائمة تنعدم فيه أدنى شروط الحياة، ويتقاضين أقل من الإسبانيات، وظروف العمل قاسية جدا –حيث إن قضاء يوم كامل في قطف الفراولة، ووضعها برفق في سلة يتطلب أوضاعا بدنية مضنية وبذل طاقة قصوى– تؤثر سلبا على صحة هؤلاء النساء، حيث تعاني اغلبهن عند الرجوع إلى بلادهن من ألم مستمرة في الظهر ومشاكل أخرى في المفاصل[١٦]. كما تتعرض النساء لمجموعة من الممارسات والتجاوزات من سوء المعاملة والتحرش الجنسي والعنف والحرمان وانتهاك حقوقهن. وتؤكد شهادات المهاجرات مجموعة من التجاوزات التي تعرضن لها: تقول "عائشة وهي إحدى المغربيات ضحايا الاعتداءات الجنسية بحقول "ويلفا"، "أولا بالنسبة للعمل كل ما تم الاتفاق عليه بالنسبة لعدد ساعات العمل والأجر لم يف به المشغل"، وقالت إن العاملات يضطررن إلى البحث عن الطعام في القمامة في شهر رمضان، في حين أن مشغلهن يعرض عليهن المال مقابل الجنس، بحسب ما نقلته "إلباييس". ووفقا لها، ففي كل يوم تتوافد على المزرعة مجموعة من السيارات يقودها رجال يبحثون عن نساء مستضعفات من أجل ممارسة الجنس معهن. وتعترف صديقتها أمينة أنها قبلت في ٣ مناسبات منفصلة أكياسا من المواد الغذائية مقابل مرافقة أحدهم لممارسة الجنس[١٧]. إن عاملات الفراولة بإسبانيا... حالات صادمة ووقائع معزولة وخلل في "العقود".

١.٣. كفاءات عالية ومهارات علمية محدودة لكنها وازنة.

تمكن أبناء المهاجرين من الجيلين الثاني والثالث من خلال التعليم والتأهيل من الوصول إلى مهن لها وضعها الاعتباري وقيمتها الخاصة. وتمثل المهاجرات اللواتي يمتلكن مستوى عالي من المهارات نسب ضعيفة بين المهاجرات حوالي ٢٤٥٠٠٠ سنة ٢٠١١[١٨]، حتى ولو كانت أعدادها لا تتوقف عن الازدياد خلال العقود الأخيرة.

تعتبر الأطر والكفاءات في صفوف النساء المهاجرات الوجه المشرق للهجرة، والمشرف لبلدهن الأصلي، أغلبهن باحثات في المختبرات المتخصصة، والتعليم العالي، وأطر في شركات عالمية ومقاولات. كما نجد كذلك المهاجرات اللواتي يدرن مشاريعهن ومقاولاتهن الخاصة، وقد استطاعت هذه الفئة الانخراط في العمل الجمعوي والسياسي، حيث توجد أكثر من ١٥٠٠ امرأة مغربية مهاجرة في مراكز القرار السياسي، ويشاركن في تسيير العمل الحكومي المحلي في العديد من الدول الأوربية، وبلغن مناصب المسؤولية إلى درجة تقلدها رئاسة البرلمان في هولندا، وعدة حقائب وزارية في فرنسا، وهي ممثلة للشعب في برلمانات إيطاليا وبلجيكا وكندا، وتدير مراكز علمية مهمة في الولايات المتحدة، وهي حاضرة في الدول الإفريقية، تناضل جنبا إلى جنب مع شقيقاتها، بل ومنخرطات في سبيل استقرار إفريقيا وسلمها. فقد عُيّنت المهاجرة المغربية نائبة للممثل الخاص لبعثة الأمم المتحدة لتحقيق الاستقرار في جمهورية إفريقيا الوسطى (مينوسكا)، حيث عملت أيضا منسقة مقيمة، ومنسقة إنسانية للأمم المتحدة بهذا البلد، وكذا ممثلة مقيمة لبرنامج الأمم المتحدة للتنمية.

٢.آثار خروج النساء المهاجرات للعمل على العلاقات الداخلية للأسرة

تواجه المرأة المغربية المهاجرة مشاكل حقيقية من اجل الولوج لسوق الشغل، وذلك إما بسبب مستواهن الدراسي والتأهيل المتدني، أو بعدم الاعتراف بالشهادات المغربية، وحوافز التمييز العنصري التي لا تسمح لهن بالوصول إلى الوظائف التي تتناسب مع مؤهلاتهن. فمثلا تقدر نسبة الوظائف التي تشغلها المهاجرات بإسبانيا ١.٩% [١٩].

٢.١. الآثار الإيجابية على العلاقات الداخلية للأسرة:

ويعتبر خروج المرأة للعمل خارج البيت، واشتغالها في أنشطة اقتصادية مدرة للدخل، فرصة لفك القيود، وتجاوز العوائق التي تفرضها التقاليد والأعراف. وتمثل المداخيل التي تحصل عليها المرأة من خلال عملها وسيلة للإحساس بالاستقلالية والتحرر من سلطة الرجل، ومورد عيش إضافي بالنسبة للأسرة.

كما تساهم نسبة مهمة من المهاجرات المشتغلات إلى جانب الرجل في ميزانية الأسرة، إلى جانب تدبيرها لشؤون البيت. وتساهم في الادخار، وفي اختيار المجال المناسب للاستثمار، وقد مكنها هذا الوضع من التدخل في القرارات الهامة داخل الأسرة. إن العامل المادي هو العامل الأساسي والحاسم الذي دفع الرجل إلى مواجهة العوائق العائلية، والانتفاض

على العادات والتقاليد، والسماح للمرأة بالخروج من اجل العمل، وخاصة بالنسبة للمهاجرين المنحدرين من مناطق الريف سواء بهولندا أو بلجيكا أو ألمانيا. إنها ثورة حقيقية على العادات والتقاليد والأعراف، مما أدى إلى تراخي المراقبة العائلية والاجتماعية. إنه تحول عميق وحقيقي عرفته المرأة المغربية المهاجرة، حيث تمكنت من اقتحام جل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وتتمتع بنفس الحقوق والواجبات التي يتمتع بها الرجل. وكان لهذا التحول آثار ايجابية مباشرة على مناطق الهجرة.

٣.١.الآثار السلبية على النساء المهاجرات:

ظروف العمل جد متردية.

يتم ولوج المرأة المغربية المهاجرة لسوق الشغل بشكل صعب، ووفق شروط محددة، وذلك لعدة أسباب منها، مستواهن الدراسي المتدني الذي يحول دون تمكنهن من تعلم اللغة، واستيعاب ثقافة بلد الإقامة، وتكوينهن المهني الضعيف والمنعدم أحيانا. وضعيتهن غير القانونية، عدم انخراطهن في العمل السياسي والنقابي والجمعوي، وجهلهن لحقوقهن وواجباتهن. كل هذه العوامل، إلى جانب عوامل أخرى، تجعل المرأة المهاجرة المغربية في وضعية هشة، ولقمة سائغة في القطاع الغير مهيكل.

وما يميز القطاعات التي تشتغل فيها المرأة المهاجرة (البيوت والمطاعم والفنادق...) أن العمل فيها مؤقت. فمثلا يمثل هذا النوع من العقود بإسبانيا ٤٧% في الخدمات المنزلية، و٤٦%بالنسبة للمطاعم والفنادق[٢٠]. كما أن نسبة البطالة في صفوف المهاجرات المغربيات مرتفعة تقدر بحوالي ٣٠% بهولندا، وتختلف هذه النسب حسب السن، إذ تمثل ٣٢% بالنسبة للفئات الشابة ما بين ٢٥ و ٣٤ سنة، و٢٣% بالنسبة لفئات السن ما بين ٣٤و٤٥ سنة[٢١].

أما المهاجرات المتجنسات فإن نسبة البطالة في صفوفهن أقل من المهاجرات غير المتجنسات، وقد بدأت وضعيتهن تتحسن خلال السنوات الأخيرة، خاصة بالنسبة للجيلين الثاني والثالث، خاصة الحاصلات على شواهد. فعلى سبيل المثال لا الحصر تقدر نسبة البطالة في صفوف المهاجرات الحاصلات على الجنسية بحوالي ٢٧.١٧% ، مقابل ٤٣.٣% بالنسبة للمهاجرات غير المتجنسات[٢٢].

وعلى مستوى الأجور، تتقاضى المهاجرة المغربية أجرا منخفضا مقارنة بأجور الأوربيات، يصل أحيانا إلى النصف. تعكس هذه الأجور بشكل واضح القطاعات الإنتاجية التي تشتغل فيها المهاجرات المغربيات، وكذا مستواهن الدراسي والمهني، إذ غالبا ما نصادفهن في القطاعات الهامشية والأقل دخلا التي تنفر منها الأوربيات.

الخاتمة:

لقد ساهمت المرأة المغربية المهاجرة في تحقيق الاندماج على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، متجاوزة بذلك الصورة النمطية اللصيقة بها في الذهنية الأوروبية، محافظة على هويتها الأصلية دون الانصهار والذوبان في الآخر، بفضل "الطابع الاجتماعي والثقافي للهوية الأنثوية واتجاهاتها الملحوظة نحو أشكال إبداعية لتحقيق الذات و الاندماج في مجتمع الإقامة، سواء على المستوى الفردي أو العائلي" بالإضافة إلى "مساهمتها عمليا وثقافيا في لعب دور تربوي في مجتمعات الإقامة، للتعريف بالصورة الحقيقية للمواطن المغربي وفي المحافظة على هويته وكرامته"، باعتبارها شريكا أساسيا في التنمية الاقتصادية الاجتماعية، باحترامها للتنوع وقبولها بالاختلاف.

كما أثبتت نجاحها وتفوقها رغم كل الصعوبات في جميع الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وحتى في الميدان السياسي، والاندماج في مجتمعات الهجرة، مع الارتباط بهويتها الأصلية، لذا يجب على الدول الأوربية الكف عن التعامل مع قضايا المهاجرين المغاربة كمشاكل يد عاملة، والتعامل معهم كمواطنين وكجالية لها هويتها وثقافتها، وهذا يتطلب فك الارتباط الميكانيكي ما بين الجنسية والمواطنة والانطلاق من فهم ديناميكي لمسألة المواطنة عبر الاهتمام بالحقوق السياسية والاجتماعية للمهاجرين المغاربة في إطار استفادتهم من حقوق المواطنة الأوربية وإشراك جميع المواطنين في الحياة العامة.

الهوامش:

١. اتفاقية حول اليد العاملة المبرمة بين المغرب وألمانيا في ١٢ مايو ١٩٦٣، وتم الاتفاق حول العمل في نشاط اقتصادي واحد وذلك في مناجم الفحم. وفي اتفاقية ٤ مارس ١٩٦٦ اتسعت الاتفاقية لتشمل ميادين الاقتصاد الأخرى.

* اتفاقية حول اليد العاملة المبرمة بين المغرب وفرنسا في فاتح يونيو ١٩٦٣.

* اتفاقية حول اليد العاملة المبرمة بين المغرب وبلجيكا في ١٥ مايو ١٩٦٨.

* اتفاقية حول اليد العاملة المبرمة بين المغرب وهولندا في ٢٣ يناير ١٩٦٩.

٢. محمد حمجيق، ٢٠٠٣: الهجرة الدولية والتنمية بالريف الأوسط، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس، ص:٣٠.

٣. نفس المرجع، ٣٢.

٤.نفس المرجع، ص٦١.

٥. الوزارة المكلفة بالمغاربة المقيمين بالخارج وشؤون الهجرة.

٦ . Khachani Mohamed, 2018 : La femme marocaine en migration : du regroupent familial à l'émigration autonome et individuelle,In :Familles en transformation. Quand les modes de construction familiale se réinventent,Association internationale des démographes de langue française Paris .p :17.

٧ .Boundi Mohamed ,2018 : Femmes marocaines en Espagne : Les impératifs de la conciliation entre vie professionnelle et responsabilité familiale, Libération, 8 Mars2018.

٨. المندوبية السامية للتخطيط، ٢٠١٨-٢٠٠٩: النتائج الأولية لبحث المندوبية السامية للتخطيط حول الهجرة الدولية، ص٣.

٩. نفس المرجع

١٠.نفس المرجع.

١١MEDIAS 24 : 2019 :Les Marocains en tête des naturalisés Espagnols en 2018, 11 décembre 2019

١٢ .OCDE ,2016 : Talents à l'étranger : une revue des émigrés marocains. Editions, OCDE, Paris, p :18.

١٣. محمد خشاني ومحمد مغاري، ٢٠٠٦: الهجرة المغربية في إسبانيا، تقرير اتحاد البحوث التطبيقية حول الهجرة الدولية، ص: ١٣.

١٤. محمد خشاني ومحمد مغاري، ٢٠٠٦: الهجرة المغربية في إسبانيا، تقرير اتحاد البحوث التطبيقية حول الهجرة الدولية، ص:١٣.

١٥.يوروميد، ٢٠١١: الهجرة النسائية بين دول البحر الأبيض المتوسط والاتحاد الأوربي، دراسة بدعم من المفوضية الأوربية، ص٣٣٩.-http://wwww.euromed-migration.eu

١٦.أيدي مغربية صغيرة للفراولة الإسبانية-2008/05/10.www.algerie-dz.com/forums/archive.

١٧ kawalisrif.ciom عاملات الفراولة إعتداءات جنسية وتهديدات الأقارب

١٨ OCDE ,2016 : op. cite, p :18.

١٩. محمد خشاني ومحمد مغاري، ٢٠٠٦: نفس المرجع السابق، ص: ١٤.

٢٠.نفس المرجع، ص٧٣.

٢١. محمد حمجيق، المرجع السابق.

٢٢BARRADA Abdellah , 2000 : Changement du Phénomène Migratoire et ses Caractéristiques Socio Démographiques, Séminaire sue les Mutations de l'émigration Internationale Marocaine, INSEA –Rabat 28 et 29 Janvier 2000.

قائمة المراجع:

محمد حمجيق، ٢٠٠٣: الهجرة الدولية والتنمية بالريف الأوسط، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز فاس، ٥٥٩ص.

محمد الخشاني،٢٠١٧: هجرة الشباب العربي إلى دول الاتحاد الأوربي: قراءة نقدية في السياسة الأوربية للهجرة،، مجلة عمران، العدد ٢١، المجلد ٦، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠ص.

محمد خشاني ومحمد مغاري، ٢٠٠٦: الهجرة المغربية في إسبانيا، تقرير اتحاد البحوث التطبيقية حول الهجرة الدولية.

مسدالي فاطمة، ٢٠٠٨: المرأة المغربية المهاجرة ومسألة الاندماج، البحث العلمي المجلد ٥٥، جامعة محمد الخامس السويسي، المعهد الجامعي للبحث العلمي الرباط، (١٢ص).

كنزة الغالي،٢٠٠٤: نسائنا المهاجرات في إسبانيا، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٥٤ص.

عبد الواحد اكمير، ١٩٩٩: الهجرة إلى الموت، إسبانيا واحداث إلخيدو، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

أحمد إحدوثن،١٩٩٩: المغرب وإسبانيا(الهجرة والتعليم والتربية)، سلسلة شراع، طنجة.

عائشة التايب،٢٠١٣: الهجرة النسائية والتنمية: مهاجرات بلدان المغرب العربي إلى أوربا مثلا، مجلة عمران، **العدد الثالث**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،

عائشة التايب،٢٠١٧: الفتاة العربية والهجرة إلى الجنات الموعودة، مجلة عمران، العدد ٢١، المجلد ٦، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٨ص.

المندوبية السامية للتخطيط ، ٢٠١٩: النتائج الأولية حول الهجرة الدولية خلال ٢٠١٨-٢٠١٩، ١٤ص.

المرأة المغربية المهاجرة: الواقع والآفاق، ٢٠١٩: أشغال ندوة علمية بمناسبة اليوم العالمي للمراة، هيأة المساواة وتكافؤ الفرص، ومقاربة النوع بمدينة جرسيف يوم السبت ٣٠ مارس ٢٠١٩.غير منشورة.

- **Ait Ben Lmadani Fatima**, ٢٠١٢:Femmes et émigration marocaine :Entre invisibilisation et survisibilisation : pour une approche postcoloniale, Revue Homme & Migration, Dossier N°1300.pp:96-103.
- **Alami M'chichi Houria, 2**009 : "Les Marocaines saisonnières dans la province de Huelva : aléas d'une forme de migration des femmes". sur www.euromed-migration.eu.
- **ALAIN(G) et SAYAD(AB)**, 1984 : L'Immigration Algérienne En France, Edition Entente, Paris.

- **Arab Chadia**,2010 : "La migration circulaire féminine, vecteur de développement", sur http://www.migration4development.org.
- **BARRADA Abdellah** , 2000 : Changement du Phénomène Migratoire et ses Caractéristiques Socio Démographiques, Séminaire sue les Mutations de l'émigration Internationale Marocaine, INSEA –Rabat 28 et 29 Janvier.
- **BERRIAN Mohamed**, 2014 :Marocains del'Extérieur2013, FondationII, Rabat. 602p.
- **Boundi Mohamed** ,2018 : Femmes marocaines en Espagne :Les impératifs de la conciliation entre vie professionnelle et responsabilité familiale, Libération, 8 Mars2018.
- **Charef Mohamed**, 2002:Les Migrations au féminin. Editeur Sud-Contact, Agadir, 208p
- **Francesca Scrinz,** 2004 **:**« Ma culture dans laquelle elle travaille ».Les migrantes dans les services domestiques en Italie et en France, Les cahiers du CEDREF, N°12.
- **GOUREVITCH(JP)**,1998 : L 'Immigration la facture légale, Le Pré aux Clercs. Essai, Paris, 401p.
- **Laura Oso**,2000 : L'immigration En Espagne des femmes chefs de familles, Les cahiers du CEDREF, N°8 et 9.
- **L'opinion**, 2011 : La femme marocaine dans la communauté autonome de Madrid: convivialité et participation, Samedi 26 et Dimanche 27 Février 2011 .(2p).
- **Lucile BARROC**, **OCDE** 2000 : Politiques Migratoires des Pays de l'Union Européenne, Séminaire sue les Mutations de l'émigration Internationale Marocaine, INSEA –Rabat 28 et 29 Janvier 2000.
- **OCDE** ,2016 : Talents à l'étranger : une revue des émigrés marocains. Editions, OCDE, Paris.
- **MEDIAS 24**, 2019 :Les Marocains en tête des naturalisés Espagnols en 2018, 11 décembre 2019.
- **Khachani Mohamed**, 2018 : La femme marocaine en migration : du regroupent familial à l'émigration autonome et individuelle, In :Familles en transformation. Quand les modes de construction familiale se réinventent, Association internationale des démographes de langue française Paris.18p
- **Ouali Nouria**, 2003 : Les Marocaines en Europe : diversification des profils migratoires. In, Hommes & Migrations N° 1242 pp. 71-82.